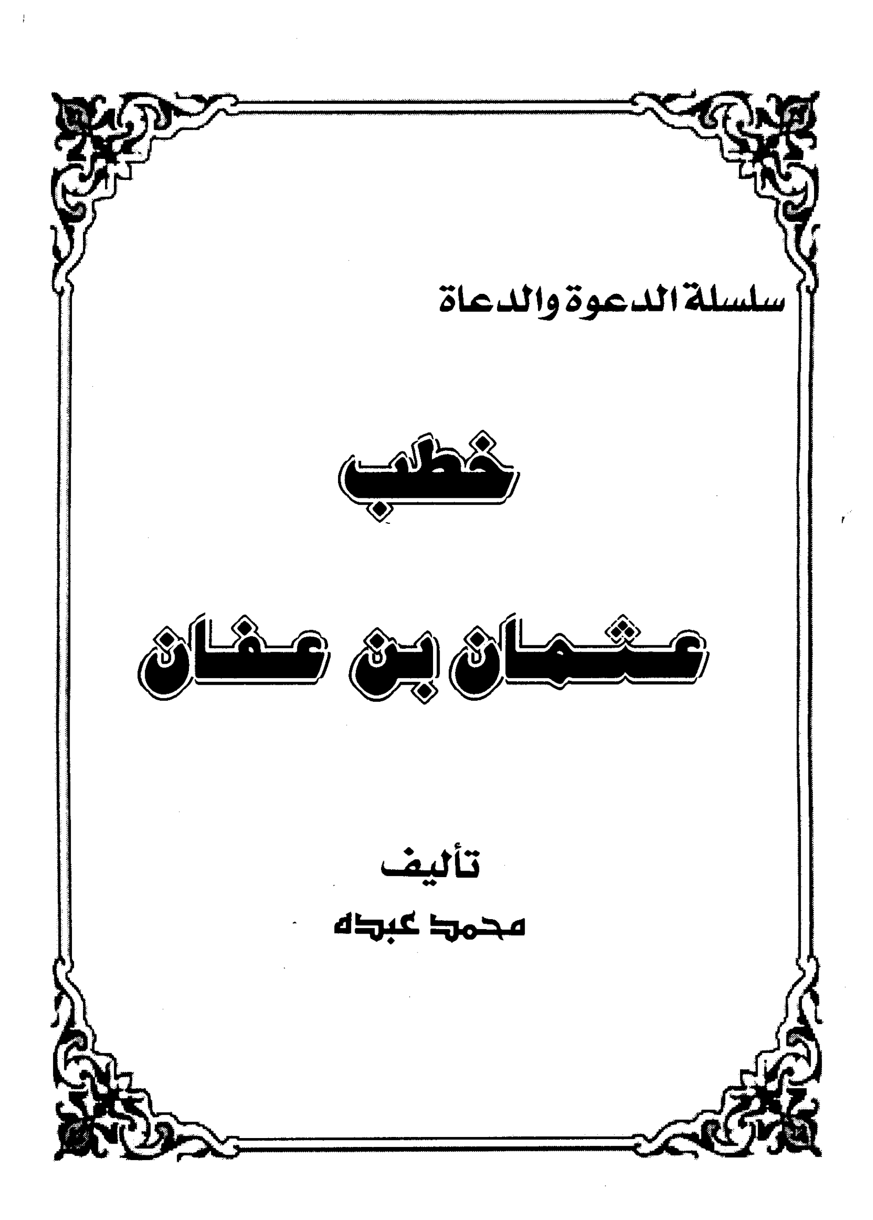


سلسلة الدعوة والدعاة

خطب عثمان بن عفان

تأليف

محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٢٢٥٧٨٨٢

المقدمة

الحمد لله على نِعَمِه التي سَرَت إلي الأولياء ركائبُها، وهمت علي رياض الأصفياء سحائبها، وتوالت إلى من أخلص فى الطاعة بغرائب الإحسان رغائبِها.

والصلاة والسلام على شمس الهدى ونور التقى محمد بن عبد الله النبى الأمين كشف الله به الغُمة وأعلى به الهمة، فصحبه الصديق وخلفه باللين، وصحبه عمر وخلفه بفتح الأمصار ونشر الدين، وصحبه عثمان، فنشر العلم وجمع القرآن، وكان خاتم الراشدين على صاحب الصحابة والقرابة، سيف الدين على أعدائه، فاللَّهم صَلِّ على نبينا وعليهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أنهينا بعون الرحمن خطب الصديق، والفاروق، وها نحن فى صدد خطب ذى النورين (عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه)

وعثمان بن عفان كما قال العسكرى: (هو أول من أقطع القطائع، وأول من حمى الحمى، وأول من خفض صوته بالتكبير، وأول من خَلَّقَ [1] المسجد، وأول من أمر بالآذان الأول فى الجمعة، وأول من رزق المؤذنين، وأول من أُرتِجَ عليه فى الخطبة فقال: «يا أيها الناس، إن أول مركب صعب، وإن بعد اليوم أياماً، وإن أعِش تأتكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله» أخرجه ابن سعد، وأول من قدَّم الخطبة فى العيد على الصلاة، وأول من فَوَّضَ إلى الناس إخراج زكاتهم، وأول من ولى الخلافة فى حياة أمه، وأول من اتخذ صاحب شُرطة، وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر، هذا ما ذكره العسكرى، قال: وأول ما وقع الاختلاف

(١) خَلَّقَ: أى طيبة بطيب الخلوق

بين الأمة فخطأ بعضُهم بعضاً فى زمانه فى أشياء نقموها عليه، وكانوا قبل ذلك يختلفون فى الفقه ولا يخطئ بعضهم بعضاً.

قلت: بقى من أوائله أنه أول من هاجر إلى الله باهله من هذه الأمة كما تقدم، وأول من جمع الناس على حرف واحد فى القراءة.) (٢)

وهو زوج رقية، وقيل فى ذلك:

أحسن زوج رآه إنسان   رقية وزوجها عثمان

وقالت سعدى بنت كريز:

هدى الله عثمانا إلى الهدى   وأرشده الله يهدى إلى الحق

فتابع بالرأى السديد محمداً   وكان برأي لا يصد عن الصدق

وأنكحه المبعوث بالحق بنته   فكانا كبدر مازج الشمس فى الأفق

فداؤك يا بن الهاشميين مهجتى   وأنت أمين الله أرسلت للخلق (٣)

وقال أبى نعيم فى الحلية: (عثمان بن عفان ثالث القوم القانت ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين، والمصلِّى إلى القبلتين، هو عثمان بن عفان رضي الله عنه. كان من «الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا» فكان ممن هو قانت أناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه. غالب أحواله الكرم والحياء والحذر والرجاء، حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام ميسر بالبلوى ومنعم بالنجوى)(٤)

وبعدكل ما علمناه أرى أن نُسرع فى عرض خطبه الشافيه وخطبه التى

(٢) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: ١٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨

(٣) الشعر عند ابن كثير فى البداية والنهاية: ٧/ ١٨٩

(٤) حلية الأولياء: ١/٥٥.

كـانت فى أحـداث الفـتنه، فـخطبـه الشـافـيـة هـى مـواعظه والأحكام التى ساقاها، وخَطْبُ الفتنة هى الخَطْبُ التى ابتل عندها وجهى من الدموع على هذا الخليفة الذى خفض الجناح للناس حتى اتخذ السفلة والقرضة فى ذلك للتخلص من أحد أعمدة الدين فى الفتح، وحتى لا أطيل فلنسـأل الله الفقه والعلم والعمل فى كل ما نقرأ اللهم آمين.

المؤلف

محمد عبده

المنصورة ـ عزبة عقل شارع أبوالقاسم

ت: ٠١٠٥١٣٠٠٣٩

تمهيد

الحمد لله الذى خلق فسوى وقدر فهدى، وأخرج المرعى هو وحده رب الشعرى بعث نبيه بالهدى، وأحاطه بأعلام التقى فلك الحمد يا رب على منتك وعطيتك.

والصلاة والسلام على مصباح الهدى ونور التقى وسيد الأولين والآخرين محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين

صدق من قال فى حقه:

فمبلغ العلم فيك أنك بشر وأنك خير خلق الله كلهم

أما بعد:

فإن الحق حق، وحق أن يتبع، والباطل باطل، وحق أن يجتنب لذا فهيا بنا نستنير بالحق المنبعث من كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه الذى استقاه من نبى الهدى الذى جاء به من عند الحق.

هيا بنا لنقرأ ونتمعن جيداً فى خطب ذى النورين رضي الله عنه، ولكن قبل أن نرتوى من خطبه كالعادة أحب أن أقدم لكم منهجى فى تنسيق هذ الكتاب حتى يتسنى لنا السير على خطى راسخة، وحتى يحصل تمام الفهم بأمر المولى عزَّ وجلَّ، وحتى لا أطيل فمنهجى: هو تقسيم هذا الكتاب إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول: سيعرض إن شاء الله خطبه الشافية، وهى التى جمع فيها لصحابته ولنا بعض من أحاديث رسول الله ﷺ، والتى تنير لنا الطريق للهدى والتقى؛ لذا أطلقت عليها اسم الشافية لأنها تشفى من علة الذنب والجهل.

والفصل الثانى: خطب الفتنة وهذه أول مرة نتعرض فيها لهذا العنوان، ولكن كما تعلمون أن عصر عثمان بن عفان ﵁ امتلأ بالفتنة فكان لابد من ذكر خطب الفتنة.

والفصل الثالث: خطب المكانة: وهى التى نوضح فيها مكانة عثمان بن عفان ﵁ وذلك عن لسانه لنعلم كيف أن الفتنة كان الغرض منها ضرب شوكة الإسلام والمسلمين، ولقد سمحت لنفس أن أسوق لكم بعض الأحاديث أيضا عن رسول الله ﷺ، والتى تبين مكانة عثمان بن عفان ﵁، وذلك حتى يتمَّ محصول الإلمام والشمول فى كلامنا، وأسأل الله التوفيق فى بيان مكانة هذا العملاق، وحسب عثمان ما قاله حنظلة الكاتب:

عجبتُ لما يَخوضُ الناس فيه ... يرومون الخلافة أن تزولا

ولو زالت لزال الخير عنهم ... ولاقوا بعدها ذُلاً ذليلاً

وكانوا كاليهود أو النصارى ... سواء كلهم ضلوا السبيلا

وحتى لا أطيل عليكم هيا بنا لنقرأ ونعى ونحفظ جيداً كل كلمة قالها أمير المؤمنين، عسى الله أن ينفعنا بها فى الدنيا والآخرة اللّهم آمين.

الفصل الأول
خطبه الشافية

خطبة لا يخرج أمرنا منا

خطبة الولاية

خطبة أكيسِ الناس من دان نفسه

خطبة لابد من لقاء الله

استمعوا وانصتوا

خطبة لولا آية ما حدثتكموه

خطبة دم المسلم

خطبة جزاء من بنى لله مسجداً

خطبة الحسنات يذهبن السيئات

خطبة قتل الكلاب

خطبة توضأت لكم

خطبة إذا اشتريت فاكتل

خطبة اثبت أحد

خطبة صحبنا رسول الله ﷺ

خطبة عمل أفضل من صيام وقيام ألف ليلة

خطبة أم الخبائث

خطبة صلاة المقيم

السؤال عن أخبار المصلين

خطبة ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له

خطبة ما نجاة هذا الأمر؟

خطبة لباس التقوى

خطبة لا تكلفوا الصغير الكسب

خطبة السنة سنة

آخر خطبة



الفصل الأول
خُطَبهُ الشافية

سبق وذكرنا في التمهيد، أن عصر عثمان، كثرت فيه الفتوحات، كما كان فى عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، ومن هذه السعة خاف عثمان، على الدين، فكانت، أعماله فى ميدان الدعوة، تنحصر على حماية القرآن، وكذا نشر تعاليم الرسول ﷺ.

وقد اشتهر عثمان بن عفان رضي الله عنه، باللين الشديد وخفض الجناح، وحتى لا نطيل فهيا بنا سوياً نقرأ ونستفيد.

لا يخرج أمرنا منا

(عندما قُتِلَ الفاروقُ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه، ونزل فى قبره، خرج أهل الشورى وهم الخمسة السابق ذكرهم فى كتابنا خطب الفاروق، وأرادوا الذهاب إلى منازلهم، فناداهم عبد الرحمن، إلى أين؟ هلموا؛ فتبعوه، وخرج حتى دخل بيت فاطمة ابنة قيس الفهرية، أخت الضحاك بن قيس الفهرى. قال بعض أهل العلم: بل كانت زوجته، وكانت نجوداً [1] يريد ذات رأي. قال فبدأ عبد الرحمن، وهو «أول الخمسة المشار إليهم» [2] بالكلام فقال:

---

(١) نجوداً: النجود هى المرأة النبيلة العاقلة

(٢) تكلمت عن: أصحاب الشورى: وهم من سيكون لهم الخطب القادمة، وفيهم عثمان بن عفان رضي الله عنه

نص

(يا هؤلاء، إن عندى رأيا، وإن لكم نظراً، فاستمعوا تعلموا، وأجيبوا تفقهوا، فإن حابياً خير من زاهق (٣) وإن جرعة من شروب (٤) بارد أنفع من عذب موب (٥) أنتم أئمة يهتدى بكم، وعلماء يصدر إليكم، فلا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم، فتوتروا ثأركم، ولا تؤلتوا (٦) أعمالكم، لكل أجل كتاب، ولكل بيت إمام بأمره يقومون وبنهيه يرعون، قلدوا أمركم واحداً تمشوا الهوينى وتلحقوا الطلب، لولا فتنة عمياء، وضلالة حيراء يقول أهلها ما يرون وتحلهم الحبوكرى (٧). ما عدت نياتكم معرفتكم ولا أعمالكم نياتكم. احذروا نصيحة الهوى، ولسان الفرقة، فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى الكلم، علقوا أمركم رحب اسراع فيما حلَّ، الغيب فيما نزل، رضا منكم وكلكم رضا، ومقترعاً منكم وكلكم منتهى لا تطيعوا مفسداً ينتصح، ولا تخالفوا مرشدا ينتصر، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم)

ثم تكلم عثمان بن عفان، فقال:

نص

(الحمد لله الذى اتخذ محمداً نبيا، وبعثه رسولا، صدقه وعده، ووهب له نصره على كل من بعد نسبا، أو قرب رحماً ﷺ جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين، فهو لنا نور، ونحن بأمره نقوم، عند تفرق الأهواء، ومجادلة

(٣) الحابى: السهم الذى يزلج على الأرض ثم يصيب الهدف، والزاهق: الذى يجاوز الهدف

(٤) شروب: الماء الملح الذى لايشرب إلا عند الضرورة

(٥) موب: الوباء (٦) تؤلتوا: تنقصوا (٧) الحبوكرى: الداهية

الأعداء جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته أمراء (لا يخرج أمرنا منا)، ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سفِه الحق، ونكل عن القصد، وأحرى بها يا ابن عوف أن تترك، وأحذر بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك، فأنا أول مجيب لك، وداع إليك، وكفيل بما أقول زعيم، وأستغفر الله لى ولكم).

ثم تكلم الزبير بن العوام فقال:

نص

(أما بعد، فإن داعى الله لا يجهل، ومجيبه لا يخذل، عند تفرق الأهواء ولى الأعناق، ولن يقصر عما قلت إلا غوى، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقى، لولا حدود لله فرضت، وفرائض لله حدت، تراح على أهلها، وتحيا لا تموت، لكان الموت من الإمارة نجاة، والفرار من الولاية عصمة، ولكن لله علينا إجابة الدعوة، وإظهار السنة، لئلا نموت ميتة عمية، ولا نعمى عمر جاهلية، فأنا مجيبك إلى ما دعوت، ومعينك على ما أمرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، واستغفر الله لى ولكم)

ثم تكلم سعد بن أبى وقاص، فقال:

نص

(الحمد لله بديئاً كان، وآخراً يعود، أحمده لما نجانى من الضلالة، وبصرنى من الغواية، فبهدى الله فاز من نجا، وبرحمته أفلح من زكا، وبمحمد بن عبد الله ﷺ أنارت الطرق، واستقامت السبل، وظهر كل حق، ومات كل باطل إياكم النفر وقول الزور، وأمنية أهل الغرور، فقد سلبت الأمانىُّ قوماً قبلكم ورثوا ما ورثتم، ونالوا ما نلتم، فاتخذهم الله عدواً، ولعنهم لعنا كبيراً. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ

لسَان دَاوُدَ وَعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٨)

إنى نكبت قرنى (٩) فأخذت سهمى الفالج (١٠) وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى، فأنا به كفيل، وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا ابن عوف، بجهد النفس، وقصد النصح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، واستغفر الله لى ولكم وأعوذ بالله من مخالفتكم).

ثم تكلم على بن أبى طالب رضي الله عنه، فقال:

نص

(الحمد لله الذى بعث محمداً نبياً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السُّرَى (١١) لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتي نموت. لن يسرع أحد قبلى إلي دعوة حق وصلة رحم، ,ولا حول ولا قوة إلا بالله اسمعوا منطقى، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا الجمع تنتضى (١٢) فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة، ثم أنشأ يقول:

فإن تك جاسم هلكت فإنى ... بما فَعَلَتْ بنو عبد بن صخْمِ

مطيع فى الهواجر كل غىٍ ... بَصيرُ بالنوى فى كل نجم (١٣)

(٨) سورة المائدة الآيات: ٧٨ ـ ٨٩ .

(٩) نكبت قرنى: أى نثرت مافى جعبتى من سهام.

(١٠) الفالج: الفائز

(١١) السّرى: السير ليلاً

(١٢) تنتضى: انتضى السيف أى: استله.

(١٣) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبرانى ٥/٢٣٢ ـ ٢٣٥ وكذا فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ٧٢/٣٠ ـ ٧٥.

خطبة الولاية

يقال: إن أول خطبة بعد الولاية كانت بعد صلاة العصر، أو قبل الزوال؛ وعبد الرحمن بن عوف جالس فى رأس المنبر وهو الأشبه والله أعلم. وما يذكره بعض الناس من أن عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدرِ ما يقول حتى قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

نص

أيها الناس

إن أوَّل مركب صعب، وإنَّ بَعْدَ اليوم أياماً، وإنْ أَعِشْ تأتِكُم الخطبة على وَجْهِها وما كنا خُطَباء وسيعلمنا الله) (١٤)

هذا هو النص الأول وقيل: إنه نص غير قوى، وإن الصحيح والمعلوم لدى أهل التاريخ والسند، هو هذا النص الذى سنذكره وهو:

عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن عثمان، عن عمه، قال: لما بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ، وقال:

نص

(إنكم في دار قُلعة (١٥) وفى بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صبِّحتم ومسِّيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. اعتبروا بمن مضى، ثم

(١٤) البداية والنهاية لابن كثير: ١٤٠/٧، وابن سعد: ٦٢/٣

(١٥) دار قلعة: أى: دار تحول، أو دار ارتحال

جدُّوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا؟، ألم تلفظهم؟ أَرَمُوا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلا، والذى هو خير، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١٦) »(١٧)

وأقبل الناس يبايعونه.

وهناك نص آخر وهو عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن محمد عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال:

نص

(أما بعد: فإنى قد حُمِّلت وقد قبلت، ألا وإنى متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عَلَىَّ بَعْدَ كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنُّ سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملإ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وإن الدنيا خَضِرة قد شُهِّيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، وأعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها) (١٨)

---

(١٦) الكهف الآيات: ٤٥ ـ ٤٦

(١٧) تاريخ الأمم والملوك: ٢٤٢/٥، البداية والنهاية: ١٤٠/٧، الوفاء فى سيرة الخلفاء: ٢١٦ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى: ١١٥٥/٣، وحياة الصحابة: ٢٤١/٤

(١٨) تاريخ الأمم والملوك: ٤٤٣/٥، حياة الصحابة: ٢٤٢/٤

أكيس الناس من دان نفسه

قال الحسن: خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه فحمد الله وأثني عليه ثم قال:

نص

(أيها الناس؛

اتقوا الله فإن تقوى الله غُنْمٌ! وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى، وقد كان بصيرا، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلم، والأصم ينادى من مكان بعيد. واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؟!) (١٩)

لابد من لقاء الله

أخرج الدينورى فى المجالسة، وابن عساكر، وكذا ابن كثير فى البداية والنهاية عن مجاهد قال: خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه فقال:

نص

(ابن آدم...!

اعلم أنَّ ملك الموت الذى وُكِّلَ بك لم يَزَلْ يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذُ أنت فى الدنيا، وكأنه قد تخطى غيرك إليك وقصدك، فخذ حذرك واستعدَّ له ولا تغفل فإنه لا يغفلُ عنك، واعلم ابن آدم.....!!

إن غَفِلْتَ عن نفسك ولم تستعدَّ لم يستعدَّ لها غيرك، ولابد من لقاء

(١٩) البداية والنهاية ٧/٢٠٣ ـ ٢٠٤، وحياة الصحابة: ٤/٢٤٢

الله فخذ لنفسك ولا تَكِلها إلى غيرك والسلام) (٢٠)

استمعوا وانصتوا

عن أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن مالك بن أبى عامر،أن عثمان بن عفان، كان يقول فى خطبته، قَلَّ ما يدع ذلك إذا خطب:

نص

(إذا قام الإمَامُ يخطب يوم الجُمعةِ فاستمعوا وأنصتوا فإن للمنصت الذي لا يسمع من الحظ، مثل ما للمنصت السامع. فإذا قامت الصلاةُ فَاعْدِلُوا الصفوف، وحاذُوا بالمناكب فإن اعتدال الصفوف من تمام الصلاةِ) (٢١)

ثم لا يُكبِّرُ، حتى يأتيه رجالٌ قد وكَّلَهُمْ بتسوية الصفوف فيخبرونه أن قد استوت فيُكَبِّر.

لولا آية ماحدثتكموه

عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن حُمرَانَ مَوْلَى عثمان بن عفان، أن عثمان بن عفان جلس على المقاعد(٢٢). فجاء المؤذن فآذنَهُ بصلاة العصر. فدعا بماءٍ فتوضأ ثم قال:

---

(٢٠) البداية والنهاية لابن كثير: ٢٠٤/٧، حياة الصحابة: ٢٤٢/٤

(٢١) موطأ الإمام مالك: ١٠٤/١

(٢٢) المقاعد هى مصاطب حول المسجد. وقيل: حجارة بقرب دار عثمان يقعد عليها مع الناس. وقال عياض: ولفظها يقتضى أنها مواضع جرت العادة بالقعود فيها.

نص

(والله لأحدثَنَّكم حديثاً، لولا أنه فى كتاب الله ما حدَّثْتُكمُوهُ. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ يتوضأ، فَيُحسِنُ وُضُوءَهُ، ثم يصلى الصلاة، إلا غُفِرَ لهُ ما بينهُ وبينَ الصلاةِ الأخرى حَتَّى يُصَلِّيَهَا») (٢٣)

وقال عروة: الآية هى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ (٢٤)

دم المسلم

عن حماد عن يحيي بن سعيد عن أبى أمامة بن سهل عن عثمان بن عفان حينما خطب فى الحجة قال فى خطبته:

نص

(إن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دَمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفسٍ بغيْرِ نفس») ثم بسط الكلام فى الحجة فيه (٢٥) .

جزاء من بنى لله مسجداً

توسع عثمان بن عفان رضي الله عنه في بناء مسجد الرسول ﷺ، فكثرت الأقاويل عليه، واختلف عليه الناس، حتي وصله هذا، فاستاء من أقوالهنّ، ثم لم يجد حلاً إلاّ أن يحدثهم فخرج إليهم، وخطبهم قائلا:

(٢٣) الحديث عند البخارى، ومسلم، وجاء فى موطأ الإمام مالك ١/٣٠، وفى معرفة السنن والآثار للبيهقى: ١/٢٩٧ حديث رقم (٦٩٩ ـ ٧٠٠)

(٢٤) البقرة الآية: ١٥٩

(٢٥) معرفة السنن والآثار: ١٣/٣٨ حديث رقم (١٧٣٩١)

نص

(إنكم قد أكثرتم. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بني مسجداً لله تعالي يبتغي به وجه الله بني الله له بيتاً في الجنة») (٢٦)

الحسنات يذهبن السيئات

حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى، حدثنا حيوة، أنبأنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان يقول: جلس عثمان يوماً وجلسنا معه، فجاءه المؤذن فدعا بماء فى إناء، أظنه سيكون فيه مد، فتوضأ ثُمَّ قال:

نص

(رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئى هذا ثم قال: ومن توضأ وضوئى، ثم قام فصلى صلاة الظهر غُفِر له ما كان بينها وبين الصبح، ثم صلى العصر غُفِر له ما بينها وبين صلاة الظهر،. ثم صلى المغرب غُفِر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء غُفِر له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت يتمرغ ليلته، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غُفِر له ما بينهما وبين صلاة العشاء، وهى الحسنات يذهبن السيئات. قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟

قال: هن لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله) (٢٧)

---

(٢٦) الترمذى: ٢/١٣٤. وابن ماجه: ١/٢٤٣، والبخارى فى الفتح: ١/٥٤٤، ومسلم بشرح النووي: ٢/٦٨٢

(٢٧) جامع المسانيد والسنن للعلامة ابن كثير: ١٧/١٦٦

قتل الكلاب

قال عبد الله بن أحمد حدثنا سيبان بن أبى شيبة حدثنا مبارك بن فضاله. حدثنا الحسن قال: «شهدت عثمان يأمر فى خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام» (٢٨)

توضأت لكم

حدثنا يعقوب. حدثنا أبى عن ابن إسحاق. حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن معاذ بن عبد الرحمن التيمى عن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان قال: رأيت عثمان بن عفان دعا بوضوء وهو على باب المسجد فغسل يديه، ثم مضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يديه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه وأمَّر بيديه على ظاهر أذنيه، ثم َمَّر بهما علي لحييه، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال:

نص

(توضأت لكم كما رأيت رسول الله ﷺ توضأ، ثم ركعت ركعتين كما رأيته ركع، قال: ثم قال: قال رسول الله ﷺ حين فرغ من ركعتيه: «من توضأ ثم ركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس» (٢٩)

---

(٢٨) المرجع السابق، وحياة الصحابة: ٢٤٤/٤، ومسند الإمام أحمد ٨٢/١

(٢٩) جامع المسانيد والسنن: ١٧٥/١٧، ومسند الإمام أحمد ٨٠/١

إذا اشتريت فاكتل

حدثنا أبو سعيد حدثنا ابن لهيعة أخبرنا موسى بن وردان، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت عثمان يخطب على المنبر وهو يقول:

نص

كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود يقال لهم: بنو قينقاع فأبيعه بربح الآصع، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: يا عثمان، إذا اشتريت فاكتل، وإذا ابتعت فَكِلْ)

وهنا نص آخر، وهو: حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله ابن لهيعة حدثنا عن موسى بن وردان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت عثمان يخطب على المنبر وهو يقول:

(كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود يقال لهم: بنو قينقاع، فأبيعه بربح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا عثمان إذا اشتريت فاكتل، وإذا بعت فَكِلْ) (٣٠)

اثبت أحد

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال: ناشد عثمان رضي الله عنه الناس يوما فقال:

نص

أتعلمون أن النبى ﷺ صعد أحداً، وأبو بكر، وعمر رضى الله عنهما، وأنا فارتج أُحُدُ وعليه محمد النبى ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان - رضى الله عنهم -

(٣٠) جامع المسانيد والسنن: ١٩٣/١٧، وحياة الصحابة: ٢٤٤/٤

فقال النبى ﷺ: «أُثْبُتْ أُحُدَ ما عليك إلا نبى، وصديق، وشهيدان؟» (٣١)

صحبنا رسول الله ﷺ

حدثنا محمد بن جعفر حدثتنا شعبة عن سماك بن حرب، قال: سمعت عباد بن زاهر أبا رُواع قال: سمعت عثمان يخطب فقال:

نص

«إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقلين والكثير، وإن ناساً يعلموني به عسي أن لايكون أحدهم رآه قط» (٣٢)

عمل أفضل من صيام وقيام ألف ليلة

عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير، قال: خطب عثمان بن عفان الناس: فقال:

نص

(يا أيها الناس...!!

إنى سمعت حديثا من رسول الله ﷺ. لم يمنعنى أن أحدثكم به إلا الضن بكم وبصحابتكم. فليختر مختار لنفسه، أو ليدع. سمعت رسول الله

(٣١) جامع المسانيد والسنن: ١٧/١٩٥ ـ ١٩٦، والطبرانى فى معجمه الكبير: ١/٩١، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ٩/٥٥، وهو عند البخارى فى مناقب عثمان رضي الله عنه، وكذا عند مسلم، والبداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ٧/١٧٩.

(٣٢) جامع المسانيد والسنن: ١٧/٢٠٠

ﷺ يقول «من رابط ليلة فى سبيل الله سبحانه، كانت كألف ليلة، صيامها وقيامها») (٣٣)

أم الخبائث

عن أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث عن أبيه، قال: سمعت عثمان رضي الله عنه يقول:

نص

(اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تَعَبَّدَ فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليَّ أو تشرب من هذه الخمرة كأساً، أو تقتل هذا الغلام.

قال: فاسقنى من هذا الخمر كأساً.

فسقته كأساً قال: زيدونى، فلم يرم حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان، وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه) (٣٤)

صلاة المقيم

حدثنا أبو سعيد ـ يعنى مولى بنى هاشم ـ، حدثنا عكرمة بن إبراهيم الباهلى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى ذُبَاب عن أبيه: أن عثمان بن

(٣٣) جامع المسانيد والسنن: ٢٠٥/١٧ ـ ٢٠٦

(٣٤) جامع المسانيد والسنن: ٢١٣/١٧ ـ ٢١٤

عفان صَلَّى بمنى أربع ركعات، فأنكره الناس عليه، فقال:

نص

(أيها الناس.....!!

إنى تأهلت بمكة منذ قدمت، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تأهل فى بلد فليصل صلاة المقيم) (٣٥)

ومعنى الحديث أنه من المفروض أن يصلى صلاة القصر لأنه فى السفر، ولكنه بين أنه ليس فى السفر لأن المكان الذى يتزوج فيه الشخص هو دار إقامة بالنسبة له إن كانت المرأة من هذا المكان.

السؤال عن أخبار المصلين

(حدثنا هاشم بن بشير إملاءً، قال: أنبأنا محمد بن قيس الأسدى عن موسى بن طلحة، قال: سمعت عثمان بن عفان، وهو على المنبر، والمؤذن يقيم الصلاة، وهو يستخبر الناس ، يسألهم عن أخبارهم وإسعادهم) (٣٦)

وفى هذا دليل على أن للإمام أن يسأل عن حال المصلين وأخبارهم فى الفترة ما بين الآذان والخطبة.

ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له

عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان يقول على المنبر:

---

(٣٥) مسند الإمام أحمد: ٦٢/١، وجامع المسانيد والسنن: ٢١٤/١٧

(٣٦) جامع المسانيد والسنن: ١٧/ ٢٣٤

نص

(أيها الناس...!!

إنى كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني، ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختارَ امرؤ لنفسه ما بدا له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاط يوم فى سبيل الله تعالى خيرُ من ألف يوم فيما سواه من المنازل») (٣٧)

وهناك نص آخر لهذه الخطبة وهو، عن زهرة بن معبد عن أبى صالح مولى عثمان أن عثمان قال:

(أيها الناس...!!

إنى محدثكم بحديث ما تكلمت به منذ سمعتُ رسول الله ﷺ إلى يومى هذا، قال رسول الله ﷺ: «إن رباط يوم فى سبيل الله أفضلُ من ألف يوم مما سواه، فليرابط امرؤ حيث شاء، هل بَلَّغتكم؟

قالوا: نعم.

قال: اللَّهم اشهد») (٣٨)

ما نجاة هذا الأمر؟

فى هذه الخطبة سنسير سويا مع قصة يحكيها لنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، ثم سنجد فى نهاية هذه القصة النجاة لكل مسلم آمَنَ بأنَّه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه:

(٣٧) جامع المسانيد والسنن: ١٧/ ٢٤٥ حديث رقم ١٨٦، ورواه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ٤٧٠

(٣٨) جامع المسانيد والسنن: ١٧/ ٢٤٥ حديث رقم ١٨٦

نص

(إن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ حين توفى رسول الله ﷺ حزنوا عليه حتى كاد بعضهم أن يوسوس، فقال: عثمان فكنت منهم، فبينما أنا جالس فى ظل أطم مَرَّ على عمر بن الخطَّاب، فسلم على، فلم أشعر أنه مَرَّ ولا سلم، فانطلق عمر حتى دخل على أبى بكر، فقال: ألا أعجبك؟، مررت على عثمان فسلمت عليه فلم يرد على السلام.

فأقبل عمر، وأبو بكر فى ولاية أبى بكر حتى أتيا، فسلما جميعاً، ثم قال: جاءنى أخوك عمر فزعم أنه مَرَّ عليك فسلم فلم ترد عليه السلام، فما الذى حملك على ذلك؟

فقلت: ما فعلت...!

قال عمر: بلى، ولكنها عيبتكم يا بنى أمية

قال عثمان: فقلت: ما شعرت بأنك مررت، ولا سلمت.

فقال أبو بكر: صدق عثمان، ولقد شغلك عن ذلك أمر.

قلت: أجل.

قال أبو بكر: فما هو؟.

قلت: توفى الله نَبِيَّهُ ﷺ قبل أن أسأله عن نجاة هذا الأمر.

قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك.

قال عثمان: فقلت: بأبى أنت وأمى، أنت أحق بها.

فقال أبو بكر: قلت: يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر...؟

فقال رسول الله ﷺ: مَنْ قَبِلَ مِنِّىَ الكلمة التى عُرِضَتْ على عَمِّى فردها فهى له نجاة) (٣٩)

(٣٩) جامع المسانيد والسنن: ١٧/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥

والمقصود بهذه الكلمة: هى: كلمة التوحيد التى أراد رسول الله ﷺ من عَمِّه أن ينطقها قبل موته فهى: الشهادة، وهى كلمة التوحيد، وهى النجاة، وهى: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله».

لباس التقوى

أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن الحسن، قال: رأيت عثمان على المنبر قال:

نص

(يا أيها الناس:

اتقوا الله فى هذه السرائر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذى نفس محمد بيده؛ ما عمل أحدٌ عملا سراً إلا ألبسه الله رداءه علانية، إنْ خيراً فخير وإن شراً فشر»، ثم تلا هذه الآية «ورياشا - ولم يقل: وريشا - ولباس التقوى ذلك خير» قال: السَّمْتُ الحَسَنُ) (٤٠)

لا تكلفوا الصغير الكسب

أخرج الشافعى، والبيهقى عن مالك عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع عثمان بن عفان فى خطبته:

نص

(لا تُكلِّفوا الصغير الكسب فإنه متى كلفتموه الكسب سَرَقَ، ولا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب، فإنكم إن كلفتموها الكسب كسبت بفرجها، وعفُّوا إذا أعَفَّكُم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها) (٤١)

(٤٠) حياة الصحابة: ٤/ ٢٤٣ (٤١) المرجع السابق

السنة سنة

أخرج البيهقى، وابن عساكر عن سالم مولى عبد الرحمن بن حميد، أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى، ثم خطب الناس فقال:

نص

(أيها الناس...!!

إن السُّنَّة سُنَّةَ رسول الله ﷺ وسُنَّةَ صاحبيه، ولكن حدث العام من الناس فَخِفْتُ أن تَسنُّوا) (٤٢)

آخر خطبه

يقول ابن (الجرير الطبرى كتب السرى، عن سيف، عن زيد بن عثمان، عن عمه، قال: آخر خطبة خطبها عثمان بن عفان رضي الله عنه فى جماعة:

نص

(إن الله عزَّ وجلّ إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله. اتقوا الله عزَّ وجلّ، فإن تقواه جُنَّةٌ (٤٣) من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغِيَرَ (٤٤)، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزابا.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(٤٥)) (٤٦)

وكانت هذه هى آخر خطبة من خطبه الشافية وإليكم الآن الإفادة.

---

(٤٢) حياة الصحابة: ٤/ ٢٤٤
(٤٣) جنة: وقاية
(٤٤) الغير: الأحداث المتغيرة
(٤٥) آل عمران الآية: ١٠٣
(٤٦) تاريخ الأمم والملوك ٥/٤٣٣ ـ ٤٤٤، حياة الصحابة: ٤/٢٤٤ ـ ٢٤٥، البداية والنهاية: ٧/٢٠٤

الإفــادة

تعودنا فى كتبنا السابقة أن نذكر الإفادة، والإفادة لتوضيح أهم النقاط التى توجد فى الخطبة، والتى لم يتسنَّ لنا شرحها، رغم أهميتها لكل داعية فهذه النقاط هى الطريق الصحيح القويم، الذى يهدى الداعية لأسلوب الدعوة الحق، ومن أهم النقاط فى هذا الفصل:

١ـ النقطة الأولى: التصوير المرئى عند الداعية:

تكلمنا من ذى قبل، فى كتبنا عن استفاضة الداعية، فى الكلام، حتى يتسنى لمن يستمع، تصور ما يريده الداعية، وهنا نقول: إذ لم يحدث هذا التصور فينبغى على الداعية أن يلجأ إلى التصوير المرئى حتى يتسنى للمستمع الفهم، ولنضرب لذلك مثلا، وضوء عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمام الناس حتى يتعلموا كيفية الوضوء، ومن الأشياء التى تحتاج من الداعية إلى التصور المرئى مسألة: التفخذ والتورك فى الصلاة، وكذلك بعض الهيئات العبادية التى يصعب تصورها عن طريق السماع جيداً، ولنا فى ذلك دليل فعل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى مسألة الوضوء.

٢ـ النقطة الثانية: تقرب الداعية من الناس:

ويتم ذلك بالسؤال عن أحوالهم، ولقد ذكرنا أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على المنبر، والمؤذن يقيم الصلاة، وكان يستخبر الناس، يسألهم عن أخبارهم وأسعادهم.

وهذا السؤال يصنع تقاربًا عظيمًا بين الداعية والناس، هذا التقارب ينشأ عنه الألفة والائتلاف بين الداعية والناس، ويخدم غرض الدعوة فلا بأس أبداً منه، بل هو من أعمال الداعية المتيقظ الذى يسعى لخدمة الإسلام والمسلمين.

النقطة الأخيرة: طلب العلم:

قرأنا جميعاً ما جاء فى خطبة «ما نجاة هذا الأمر»، ورأينا كيف أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قد سأل ابو بكر رضي الله عنه عن نجاة هذا الأمر، فأخبره أنها كلمة التوحيد، ولكن عندما أراد عثمان أن يذكر نجاة هذا الأمر للناس أفاد بأن مَنْ علَّمه هو أبو بكر رضي الله عنه، وكان من الممكن أن لا يذكر هذا ويكتفى بذكر عظمة كلمة التوحيد فقط، ولكن هذه هى سمات العلماء والدعاة الحق طلب العلم والشهادة لمن يعلمهم، فإن ذلك لن ينقص أبداً من قدرهم.

(وصدق الإمامُ عَلِيٌّ حين قال:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرئ ماقد كان يُحّسِنُه	وللرجال على الأفعال أسماءُ
وَضِدُّ كل امرئ ما كان يجهله	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبداً	الناس موتى وأهل العلم أحياء

ولقد قال ابن عباس رضي الله عنه: (خُير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطى المال، والملك معه)

وسئل ابن المبارك: «من الناس»؟؟.

فقال: العلماء.

قيل: فمن الملوك...؛؟.

قال: الزهاد.

قيل: فمن السفلة؟

قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين.

ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التى يتميز الناس بها عن سائر البهائم هى العلم، فالإنسان شريف بما هو شريف لأجله) [٤٧]

ومن هنا نستطيع أن نقول: الداعية الحق يلتمس العلم لآخر أيامه، ويظل يتعلم حتى يكون إنسانا بجدارة يليق لأعظم ميدان، وهو ميدان الدعوة.

*****

(٤٧) إحياء علوم الدين: ٧/١

الفصل الثانى
خطب الفتنة

الفصل الثانى

خطب الفتنة

فى عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه حدثت فتنة كبيرة وقع فيهاأناس كثير كانوا يبغون ضرب الإسلام، واستمالوا واستطاعوا أن يخدعوا بعضا من أهله، ولقد حاول معهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لإرجاعهم بالقول والخطب، ولم يشهر سيفه خوفا من اندلاع الفتنة بين صفوف الموحدين، وأذكر لكم بعضاً مما قيل فى حق عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى تعلموا جيداً سبب هذه الفتنة (قال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطّاب: سمعت عثمان يخطب وهو يقول:

نص

(يا أيها الناس.......!!

ما تنقمون عَلَىَّ، وما من يوم إلا وأنتم تقتسمون فيه خيراً)

وقال الحسن البصرى: «شهدت منادى عثمان ينادى: يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم، فيغدون ويأخذونها وافية. يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم، فيغدون ويأخذونها وافية.

حتى - والله - سمعته أذناى يقول: اغدوا على كسوتكم، فيأخذون الحلل - واغدوا على السمن والعسل»

قال الحسن: «أرزاق دارَّة، وخير كثير، وذات بين حسن، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً، إلاَّ يوده وينصره ويألفه. فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق، ولكنهم لم يصبروا وسلُّوا السيف مع من سَلَّ، فصار عن الكفار مغمداً، وعلى المسلمين مسلولاً». روى عنه ذلك

الحافظ بن عبد البر.

وقال ابن سيرين صنو الحسن البصرى وزميله، وهو أيضا كان معاصراً لعثمان: «كثر المال فى زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف ألف درهم، ونخلة بألف درهم»

وسئل عبد الله بن عمر بن الخطّاب عن على، وعثمان، فقال للسائل: «قبحك الله، تسألنى عن رجلين - كلاهما خير منى - تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر؛؟» (١)

هذا هو رأى الجميع فى عثمان رضي الله عنه، ولقد كان خير الناس، ولكن أعداء الإسلام أثاروا الفتنة، وخلطوا الأمور حتى أوقعوا البغض بين أهله، فهيا بنا سويا لِنَرَ ونسمع خطب الفتنة حتى تكون الصورة واضحة جلية أمامنا.

دبيب الفتنة

لنقرأ سويا جزءًا، من هذه الأحداث، ثم نقرأ خطبة عثمان رضي الله عنه حتى نعلم كيف دبت الفتنة:

(أقام الوليد والياً على الكوفة خمس سنين، فى نهايتها اتهمه جماعة من أهل الكوفة بأنه شرب الخمر، وشهدوا بذلك عند عثمان «زوراً وكيداً وعدواناً»، فَعَزَلَهُ عن إمارتها، وجلده حَدَّ الشارب أربعين جلدة، كما أفتى بذلك على بن أبى طالب، ولكن قال له عثمان رضي الله عنه: «اصبر فإن الله يُؤْجرك ويبوء القوم بإثمك»، وولى مكانه سعيد بن العاص، فلما وصل الكوفة صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(والله لقد بُعِثتُ إليكم وإنى لكاره، ولكن لم أجد بُدّاً إذا أمرت أن

(١) الخبر بكامله فى العواصم من القواصم: ٦٠

أُأْتمر، ألا وإن الفتنة قد أطلعت خطمها (٢) وعينها، ووالله لأضربنَّ وجهها حتى أقمعها أو تُعييَنى، وإنى لرائد نفسى اليوم»

ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة، فعرف حالهم، وكتب إلى عثمان: «إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغُلِبَ على أهلِ الشَّرف والبيوتات حتي لا يُنظَر إلى ذى شرف أو بلاءٍ من نابتتها ولا نازلتها»

فكتب إليه عثمان"

(أما بعد ففضل أهل السَّابقة والقُدمة من فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها من غيرهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء، واحفظ لكل منزلته. وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس يصاب بها العدل.

فأرسل سعيد إلى أهل القادسية والأيام فقال: «أنتم وجوه الناس، والوجه ينبئ عن الجسد، فأبلغونا حاجة ذى الحاجة»

وادخل معهم من يحتاج إليه من اللواحق والروادف، وجعل القراء فى سَمَره، ففشت القالة فى أهل الكوفة بالقدح فى ولاة عثمان وفيه لتوليته إياهم.

فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فجمع الناس وأخبرهم بما كُتبَ إليه، فقالوا: «أصبت لا تُطعهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا نهض فى الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها».

فقال عثمان:

نص

(يا أهل المدينة....!

(٢) خطمها: أنفها

استعدوا واستمسكوا فقد دبَّت إليكم الفتن، وإنى والله لأتخلص لكم الذى لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم، حتى يأتى من شهد مع أهل العراق سهمُه فيقيم معه فى بلاده») (٣)

من هذه القصة التى اختصرتها نستطيع أن نحكم بمدى لين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، هذا اللين الذى أطمع فيه الأعادى ولكى أثبت لكم فإليكم خطبة أخرى تحت عنوان

رحى الفتنة دائرة

(بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه عماله وطلب منهم استبانة أمر الفتنة فرجعوا وأخبروه عن إشاعات الفتنة فطلب منهم الرأى

فقال ابن عامر: أرى أن تشغلهم بالجهاد.

وقال ابن سعد: استصلحهم بالمال.

وقال معاوية: اجعل كفايتهم إلى أمرائهم، وأنا أكفيك الشام.

وقال ابن العاص: أرى أنك قد لنت لهم، ورضيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريق صاحبك فتشد فى موضع الشدة؛ وتلين فى موضع اللين.

وقال سعيد: متى تهلك قادتهم يتفرقوا.

ولكن كان رد عثمان بن عفان رضي الله عنه مثالاً واضحاً جلياً على شدة لينه وضعف شكيمته فلم يركن إلى قتلهم أو تفريقهم، ولكنه قال خطبة.

(٣) الخبر بكامله فى إتمام الوفاء: ٢٢٠ ـ ٢٢١

نص

(قد سمعت كل ما أشرتم به، ولكُلِّ أمر بابٌ يُؤْتى منه، إن هذا الأمر الذى يُخاف على هذه الأمَّة كائن، وإن بابه الذى يغلق إليه ليفتحن، فنكفكفه باللين والمواتاة إلا فى حدود الله، فإن فُتِح فلا يكونن لأحد علىَّ حُجَّة، وقد علم الله أنِّى لم آل الناس خيراً، وإنَّ رَحَى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها، سكِّنوا الناس، وهبوا لهم حقوقهم فإذا تُعُوطِيَتْ حقوق الله فلا تُدهِنوا») (٤)

اللهم نعم

هذه الخطبة من أعظم وأجمل ما قرأت فأرجو أن تفسحوا صدوركم وتُجمِّعوا أفكاركم حتى ننعم بعظم الكلمات.

(اجتمع ثلاثُة نفر ممن يحاولون الفتنة، وكانوا رؤوساً لها، وأجمعوا على أن يذكروا أشياء قد زرَعوها فى قلوب الناس، أمام عثمان بن عفان فيقربها فيأخذون أمرهم إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقبض عليهم.

فأرسل ابن سهلة إلى الكوفيين والبصريين، ونادى الصلاة جامعة؛ وهم عنده فى أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وقام الرجلان.

فقالوا جميعاً «أى الصحابة»: اقتلهم، فإن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقتلوه». وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «لا أحل لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم».

فقام عثمان بن عفان خطيبا قائلا:

(٤) إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء: ٢٣٨ ـ ٢٣٩، وكذا فى تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٣٠٥/٥، وكذا فى الكامل فى التاريخ: ١٥٦/٣

نص

(بل نعفو ونقبل وبنصرهم بجهدنا، ولا نُحادّ أحداً حتى يركب حداً، أو يبدى كفراً.

إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذى علمتم، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونيها ليوجبوها علىّ عند من لا يعلم.

وقالوا: أتم الصلاة فى السفر، وكانت لا تُتَمُّ «ألا وإنى قدمت بلداً فيه أهلى فأتممت لهذين الأمرين»، أو كذلك؟

قالوا: اللَّهم نعم.

وقالوا: وحميت وحمى «وإنى والله ما حميت، حمى قَبلِى، والله ما حموا شيئا لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة، ثم لم يمنعوا من رعْية أحداً، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع، ثم ما منعوا ولا نحَّوْا منها أحداً إلا من ساق درهما، ومالى من بعير غير راحلتين، ومالى ناغية ولا راغية، وإنى قد وليت، وإنى أكثر العرب بعيراً وشاه، فمالى اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لِحَجِّى» أكذلك؟

قالوا: اللَّهم نعم.

وقالوا: كان القرآن كتباً إلا واحداً «ألا وإن القرآن واحد، جاء من عند الواحد، وإنما أنا فى ذلك تابع لهؤلاء» أكذلك؟

قالوا: اللَّهم نعم

وقالوا: إنى رددتُ الحَكَمَ وقد سيره رسول الله ﷺ. «والحَكَمَ مَكّىّ سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، ثم رده رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ سَيَّره، ورسول الله ﷺ رَدَّه» أكذلك؟

قالوا: اللَّهم نعم.

وقالوا: استعملت الأحداث، ولم استعمل إلا مجتمعا محتملاً مرضياً، وهؤلاء أهل عملهم، فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولَّىّ من قبلى أحدث منهم، وقيل فى ذلك لرسول الله ﷺ: أَشَدَّ مما قيل لى فى استعماله أسامة أكذاك؟

قالوا: اللَّهم نعم، يعيبون للناس ما لا يفسرون

وقالوا: إنى أعطيت ابن أبى سرح ما أفاء الله عليه. «وإنى إنما نفلته خُمسَ ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك، فرددته عليهم وليس ذاك لهم» أكذاك؟

قالوا: نعم

وقالوا: إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم، «فأما حُبِّى فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإنى ما أعطيهم من مالى، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى، ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ، وأبى بكر، وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى، وفنى عمرى، وودعت الذى لى فى أهلى، قال الملحدون ما قالوا؟؛ وإنى والله ماحملت على مِصْرِ من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم، وما قدم علَى إلا الأخماس، ولا يحل لى منها شىء، فولى المسلمون وضعها فى أهلها دونى، ولا يُتَلفَّت من مال الله بفلس فما فوقه، وما أتبلغ منه ما آكل إلا مالى.

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً. «وإن هذه الأرضين شاركهم فيها

المهاجرون والأنصار أيام افتُتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله، ومن رجع إلى أهله لم يُذهب ذلك ما حوى الله له، فنظرت فى الذى يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم فهو فى أيديهم دونى» (٥)

هذه الخطبة المطولة أوضحت عدة أمور. منها: أنه عفا عن أهل الفتنة لشدة لينه، ومنع حمل السيوف، وأيضا أبان حُجَّته فى جميع أفعاله ولنا معها وقفة فى الإفادة.

الله الله

عسكر المصريون للفتك بعثمان رضي الله عنه، أو لاستبانة أمره، وعندما جاءت الجمعه وكان المصريون فى مسجد رسول الله ﷺ. خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال:

نص

يا هؤلاء العَدى (٦)، الله الله؛ فوالله، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطايا بالصواب، فإن الله عزّ وجلّ لا يمحو السيئ إلا بالحسن.

فقام محمد بن مسلمة «وهو من أحباب عثمان» فقال: أنا أشهد بذلك فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده.

فقام زيد بن ثابت فقال: أبغنى الكتاب، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبى قتيره فأقعده، وقال، فأفظع، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا

(٥) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/٣٥٤ ـ ٣٥٦

(٦) العدى: الأعداء

الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صُرِع على المنبر مغشيا عليه، فاحتُمل فأدخل داره) (٧)

المال لمن قاتل عليه

كتب المصريون شرطا على عثمان بن عفان رضي الله عنه أن لا يعطى مالا لأهل المدينة، ويكون المال لمن قاتل عليه، وللشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ، فوافق عثمان بن عفان رضي الله عنه، وخرج فقام إلى المنبر وخطب وقال:

نص

(إنى ما رأيت والله وفداً فى الأرض هم خير لحوباتى (٨) من هذا الوفد الذين قدموا عَلَىَّ. وقد قال مرة أخرى: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر، إلا من كان له زرع فليلحق بزرعه، ومن كان له ضرع فليحتلب، ألا إنه لا مال لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله ﷺ. قال: فغضب الناس، وقالوا: هذا مكر بنى أمية (٩) قال: ثم رجع الوفد - المصريون - راضين.

اتق الله يا عثمان

بعد أن خرج أهل مصر، فقال له: تكلم، وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، فإن خطبتك تسير فى البلاد قبل أن يتحلب (١٠) الناس عليك من أمصارهم، فيأتيك من لا تستطيع دفعه.

(٧) تاريخ الطبرى: ٥/٣٦١ - ٣٦٢، والبداية والنهاية لابن كثير: ٧/١٦٦

(٨) حوبات: جمع حوبة: الحاجة، الذنب

(٩) تاريخ الطبرى: ٥/٣٦٤

(١٠) يتحلب: يأتون

قال: فأبى عثمان أن يخرج. قال: فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال:

نص

(أما بعد.....!

فإن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم.

فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتق الله يا عثمان، فإنك قد ركبت نهابير (١١) وركبناها معك، فتب الي الله نتب.

فناداه عثمان: وإنك هناك يا ابن النابغة *؛ قَمِلتْ والله جُبَّتك منذ تركتُك من العمل.

فنودى من ناحية أخرى: تب إلى الله، وأظهر التوبة يكف الناس عنك. فرفع عثمان يديه مداً واستقبل القبلة.

فقال: اللَّهم إنى أول تائب إليك) (١٢)

ورجع إلى منزله.

من زل فليتب

إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين، فقال له: تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله على ما فى قلبك من النزوع والإنابة، فإن البلاد قد تمخضت عليك، فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من

(١١) نهابير: مهالك * ياابن النابغة: المقصود أنه ناداه باسم أمه، واسمها نابغة (أم عمرو ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

(١٢) الخبر بكامله فى تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٧٠، وفى الكامل فى التاريخ: ٣/ ١٦٣

الكوفة، فتقول: يا عَلِىُّ اركب إليهم، ولا أسمع عذراً. ويقدم ركب آخرون من البصرة، فتقول: يا عَلِىُّ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك، واستخففت بحقك. فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها، وأعطى الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

نص

(أما بعد.....أيها الناس؛؛

فو الله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكنى مَنَّتْنِى نفسى وكذبتنى، وضَلَّ عنى رشدى، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زل فليتب، ولا يتمادَ فى الهلكة، إن من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق»

فأنا أول من اتعظ، استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فمثلى نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتنى أشرافكم فليرونى رأيهم، فوالله لئن ردنى الحق عبداً لأستنَّ بسنة العبد، ولأذلَّنَّ ذل العبد، ولأكونَنَّ كالمرقوق إن مُلِك صبر، وإن عُتِق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلى، لئن أبت يمينى لتتابعنى شمالى)

قال: فرق الناس له يومئذ، وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، قال: يا أمير المؤمنين، ليس بواصل لك من ليس معك، الله الله فى نفسك؛؛ (١٣)

اللهم إنى أتوب إليك

يقول ابن جرير الطبرى:

(١٣) الخبر والخطبة كاملاً فى تاريخ الطبرى ٥/ ٣٧٠ ـ ٣٧١

قال محمد بن عمر: وحدثنى شرحبيل بن أبى عوف، عن أبيه قال: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم، قال: قبح الله مروان؛ خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، وبكى على المنبر، وبكى الناس حتى نظرت إلي لحية عثمان مُخضلة من الدموع وهو يقول:

نص

(اللّهم إنى أتوب إليك، اللّهم إنى أتوب إليك!

والله لئن ردنى الحق إلى أن أكون عبداً قنا (١٤) لأرضين به، إذا دخلت منزلى فادخلوا على، فوالله لا أحتجب منكم، ولأعطينكم الرضا، ولأزيدنكم على الرضا، ولأُنَحِّيَنَّ مروان وذويه) (١٥)

دعنى وأصحابى

اسمحوا لى أن أعرض عليكم أولا الأحداث ثم الخطبة حتى يتسنى لكم الفهم الجيد لكلمات الخطبة.

روى الواقدى عن أشياخه: أن جماعة اجتمعوا فكلموا على بن أبى طالب فى أمر عثمان، فدخل عليه وقال: الناس من ورائى، وقد كلمونى فيك، وما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، وقد صحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره، وما ابن قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب. وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، وقد نلت من صهره مالم ينالا.

فقال عثمان: والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا عبت عليك إن وصلت رحماً، وسَدَدْتَ خَلّة، أُنشدك الله يا على أتعلم أن عمر ولى المغيرة أوليس ذلك؟.

(١٤) قنا: القن «هو العبد الذى كان أبواه مملوكين لأسياده»

(١٥) الخبر والخطبة فى تاريخ الأمم والملوك: ٥/٣٧٣

قال على: بلى

قال عثمان: فَلِمَ تلومنى إن وليت ابن عامر فى رَحِمِه وقرابته؟

قال على: سأخبرك، إن عمر كان كل من ولى فإنما يطأ على صِماخه، إن بلغه عنه حرف، وأنت لا تفعل رفقة بأقربائك

قال عثمان: فهل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها؟

قال: نعم،

قال على: فهل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من غلاق يَرفَأ؟، قال: نعم،

قال: فهو يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها، فيبلغك ولا تغير عليه.

ثم خرج عَلِيٌّ، فخرج عثمان فجلس على المنبر، ثم قال:

نص

(لقد عبتم علىّ ما أقررتم لابن الخطّاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدِنْتم له ما أحببتم وكرهتم، ولنت لكم، وأوطأت لكم كنفى، وكففت يدى ولسانى عنكم، فاجترأتم عَلَىّ، فكفوا عليكم ألسنتكم، وطعنكم على ولاتكم، ومالى لا أصنع فى فضل المال ما أريد، فَلِمَ كُنْتُ إماماً؟

فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف.

فقال عثمان: اسكت لاسكت، دعنى وأصحابى، ثم نزل عثمان) (١٦)

إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم

عن يزيد الفقعسى، قال: جعل أهل مصر يكتبون إلى الأمصار، قال سيف: كاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما

(١٦) الخبر والخطبة فى المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم: ٣/١٢٢

يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء، فاجتمع المصريون والكوفيون بالمدينة.

فخطبهم عثمان وقال:

نص

(إن هؤلاء قالوا: أتم الصلاة فى السفر، وكانت لا تتم، ألا وإنى قدمت بلداً فيه أهلى فأتممت.

قالوا: وحميت حمى، وإنى والله ما حميت إلا ما حمى قبلى.

وقالوا: إنى رددت الحكم وقد سيَّره رسول الله ﷺ إلى الطائف ثم ردَّه.

وقالوا: استعملت الأحداث، ولم استعمل إلا مجتمعاً مرضياً، وقد قيل لرسول الله ﷺ فى أسامة أشد ما قيل لى.

وقالوا: أعطيت ابن أبى سرح ما أفاء الله عليه، وإنى إنما نفلته خمس الخمس، وقد أنفذ أبو بكر، وعمر، فلما كره الجند ذلك رددته. وقالوا: إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم، فأما حبى فإنه لم يمل معى على جور وإنما أعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس، وما تبلغت من مال الله عزَّ وجلَّ بفلس فما فوقه) (١٧)

استودعكم الله

اسمحوا لى أن أطلعكم أولا على الخبر حتى يحدث تمام الفهم، ثم أسوق لكم نصين للخطبة النص الأول لا يختلف كثيرًا عن النص الثانى إلا فى بعض الكلمات، وسبب ذكر النصين وعدم الاكتفاء بواحد هو أنى أريد منكم

(١٧) المنتظم: ٣/ ١٢٢٨

المقـارنة، فـاخـتـلاف الكلمـات تُنقِص بلاغـيـا مـن النص الأول، وترفـع النص الثانى، لذا سـأذكر إن شـاء الله الاثنين حتى نتذوق انتقـاء الكلمـة، ونعلم مـدى تأثيرها.

الخبـر أولا: «كَفَّ النـاسُ عن عـثـمـان بن عـفـان رضي الله عنه، فـجـعل يتـأهب للقتـال، ويستـعد بالسـلاح، واتخذ جنداً، فلمـا مضت الأيام الثلاثة ولم يغيـر شيئا ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصارى إلى المصريين فأعلمهم الحـال، وهم بذى خُشُب، فـقـدمـوا المدينة، وطلبـوا منه عـزل عمـاله، ورد مصالحهم.

فقال: إن كنت مستعملاً من أردتم وعازلا من كرهتم، فلستُ فى شىء والأمر أمركم.

فقالوا: والله لتفعلن، أو لتُخلعنَّ، أو لتُقتلنَّ. فأبى عليهم وقال: لا أنزع سـربالاً سَرْبَلَنيه الله. فـحصروه واشـتـد الحصـار عليـه، فـأرسل إلى عَلِيٍّ، وطلحـة، والزبيـر، فحضروا فأشرف عليهم فقال: يا أيها الناس اجلسوا، فجلسوا المحارب والمسالم، فقال لهم:

النص الأول

(يا أهل المدينة استودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى، ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختـار لكم ويجـمـعكم على خيـركم؟ أتقولون: إن الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه؟، أو تقولون: هان على الله دينه فلم يبال من ولى والدين لم يتفرق أهله يومئذ؟ أم تقولون: لم يكن أخذُ عن مشورة إنما كان مكابرة فوكل الله الأمة إذا عصته ولم يشاوروا فى الإمامة؟ أم تقولون: إن الله لم يعلم عـاقبـة أمرى، وأنشدكم بالله أتعلمون لى من سـابقة خير، وقدم خير

قدمه الله لى ما يوجد على كل من جاء بعدى أن يعرفوا لى فضلها؟؛ فمهلاً لا تقتلونى فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، وكفر بعد إيمانه، أو قتل نفساً بغير حق فإنكم إذ قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم، ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً) (١٨)

النص الثانى

عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: أشرف عثمان عليهم، وهو محصور، وقد أحاطوا بالدار من كل ناحية فقال:

(أنشدكم بالله جلَّ وعزَّ، هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أن يخير لكم، وأن يجمعكم على خيركم؟؛ فما ظنكم بالله؟؛

أتقولونه: لم يستجب لكم، وهنتم على الله سبحانه، وأنتم يومئذ أهل حقه من خلقه، وجميع أموركم لم تتفرق؛ أم تقولون: هان على الله دينه فلم يبال من ولاه، والدين يومئذ يُعبد به الله، ولم يتفرق أهله، فتوكلوا أو تخذلوا وتعاقبوا؛

أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة، وإنما كابرتم مكابرة، فوكَّل الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا فى الإمام، ولم تجتهدوا فى موضع كراهية؛ أم تقولون: لم يدر الله ما عاقبة أمرى، فكنت فى بعض أمرى محسنا، ولأهل الدين رضاً، فما أحدثت بعد فى أمرى ما يسخط الله، وتسخطون مما لم يعلم الله سبحانه يوم اختارنى وسربلنى سربال كرامته؟.

وأنشدكم بالله، هل تعلمون لى من سابقة خير، وسلف خير قدمه الله لى، وأشهدنيه حقه؛ وجهاد عدوه حق على كل من جاء بعدى أن يعرفوا لى فضلها؟.

فمهلاً لا تقتلونى، فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة:

---

(١٨) الخبر، والنص الأول بكامله فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ٣٠/١٧١ ـ ١٧٢

رجل زنى بعد إحصانه؛

أو كفر بعد إسلام؛

أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها.

فإنكم إن قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم، ثم لم يرفعه الله عزَّ وجَّل عنكم إلى يوم القيامة.

ولا تقتلونى فإنكم إن قتلتمونى لم تصلوا من بعدى جميعاً أبداً، ولم تقسموا بعدى فيئاً جميعا أبداً، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً) (١٩)

أهل المدينة أصل الإسلام

الخطب السابقة كانت فى فتنة مقتله، ولازال هناك العديد من الخطب، ولكن اسمحوا لى أن أعرض عليكم خبر فتنة حدثت فى المدينة، وكذا خطبة عثمان فى شأن هذه الفتنة.

أولا: الخبر: حدث بين الناس النَّشّو، فأرسل عثمان طائفا يطوف عليهم بالعصا، فمنعهم من ذلك، ثم اشتد ذلك فأفشى الحدود، ونبأ ذلك عثمان، وشكاه إلى الناس فاجتمعوا على أن يجلدوا فى النبيذ، فأخذ نفر منهم فجلدوا.

ولما حدثت الأحداث بالمدينة خرج منها رجال الأمصار مجاهدين، وليدنوا من العرب، فمنهم من أتى البصرة، ومنهم من أتى الكوفة، ومنهم من أتى الشام، فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما حدث فى أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء الشام، فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلا من كان بالشام، فأخبروا عثمان بخبرهم، فقام عثمان فى الناس خطيباً، فقال:

(١٩) النص الثانى فى تاريخ الطبرى: ٥/٤١١ ـ ٤١٢

نص

(يا أهل المدينة:

أنتم أصل الإسلام، وإنما يفسد الناس بفسادكم، ويصلحون بصلاحكم، والله والله لا يبلغنى عن أحد منكم حدث أحدثه إلا سيَّرته ألا فلا أعرفن أحداً عرض دون أولئك بكلام ولا طلب، فإن من كان قبلكم كانت تقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له.

وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شر أو شهر سلاح: عصا فما فوقها، إلا سيره. فضج آباؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون: ما أحدث التسيير الا أن رسول الله ﷺ سيَّر الحكم بن أبى العاص، فقال: إن الحكم كان مكياً، فسيَّره رسول الله ﷺ منها إلى الطائف، ثم ردَّه إلى بلده، فرسول الله ﷺ سيره بذنبه، ورسول الله ﷺ رده بعفوه، وقد سير الخليفة من بعده، وعمر رضي الله عنه من بعد الخليفة، وايم الله لآخذن من أخلاقكم، ولأبذلنه لكم من خلقى، وقد دنت أمور، ولا أحب أن تحلَّ بنا وبكم، وأنا على وجل وحذر، فاحذروا واعتبروا) [٢٠]

إنكم لم تعدلوا فى المنطق

هناك قصة شهيرة وهى قصة الرسالة التى خُدع بها أهل مصر ونسبها السفلة إلى عثمان، فاندلعت فتنة مقتلة وما هدأت بعدها، وكان ردَّه على من قد عزموا على قتاله خطبة قال فيها:

(٢٠) الخبر. والخطبة فى تاريخ الطبرى: ٥/ ٤١٥ ـ ٤١٦

نص

(الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد....؛

فإنكم لم تعدلوا فى المنطق، ولم تنصفوا فى القضاء، أماقولكم:تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمَّصنيه الله عزَّ وجلَّ، وأكرمنى به، وخصنى به على غيرى، ولكنى أتوب وأنزع ولا أعود لشىء عابه المسلمون، فإنى والله الفقير إلى الله الخائف منه) (٢١)

قالوا: إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه، ولم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت، ولقد انصرفنا عنك فى المرة الأولى، وما نخشى أن تكتب فينا، ولا من اعتللت به بما وجدنا فى كتابك مع غلامك. وكيف نقبل توبتك، وقد بلونا منك أنك لا تعطى من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه، فلسنا منصرفين حتي نعزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك ومن قومك وذوى رحمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم، حتى نخلص إليك، فنقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله، فقال عثمان:

نص

(أما أن أتبرأ من الإمارة، فإن تصلبونى أَحَبُّ إلى من أن أتبرأ من أمر الله عزَّ وجلَّ وخلافته.

---

(٢١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى: ٥/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠

وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دونى، فإنى لا آمر أحداً بقتالكم، فمن قاتل دونى فإنما قاتل بغير أمرى، ولعمرى لو كنت أريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد، فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال، أو لحقت ببعض أطرافى بمصر أو عراق، فالله الله فى أنفسكم، فأبقوا عليها إن لم تُبقوا علىَّ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر- إن قتلتمونى - دماً) (٢٢)

فانصرفوا عنه، وآذنوه بالحرب.

عصا النبى ﷺ

اسمحوا لى أن أقص عليكم تلك القصة كشاهد على صدق عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكذب الآخرين.

(قال محمد: وحدثنى أسامة بن زيد الليثى، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن أبيه، قال: أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبى ﷺ التى كان يخطب عليها، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنه فقال له جهجاه: قم يا نعثل، فانزل عن هذا المنبر، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت شظية منها فيها، فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة فرأيتها تدود) (٢٣)

أمثال النعام يتبعون أول ناعق

كان من خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه فى فترة الفتنة خطبة شهيرة يبين فيها أن السبب فى هذه الفتنة هو عدم الشدة والقسوة.

وهذه الخطبة كانت قبل دخول سنة خمس وثلاثين قبل أحداث مقتله وإليكم نصها..

(٢٢) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٣٩٠

(٢٣) تاريخ الطبرى: ٥/٣٧٧

نص

جلس عثمان بن عفان رضي الله عنه على المنبر ثم قال:

(أما بعد......؛

فإن لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، عيَّابون طعَّانون، يرونكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، يقولون لكم، وتقولون: أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحَبُّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلا نغصا، ولا يسردون إلا عَكِرَاً لا يقوم لهم رائد، وقد أعيتهم الأمور، وتعذرت عليهم المكاسب.

ألا فقد والله عبتم عَلَيَّ بما أقررتم لابن الخطَّاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدِنتم له على ما أجبتم أو كرهتم، ولنت لكم، وأوطأت لكم، وكففت يدى، ولسانى عنكم فاجترأتم على.

أما والله لأنا أعز نفراً، وأقرب ناصراً، وأكثر عدداً، وأقمن إن قلت: هلم أُتِيَ إليَّ، ولقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابى، وأخرجتم منى خُلقاً لم أكن أحسنه، ومنطقاً لم أنطق به، فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيباً على ولاتكم، فإنى قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا.

ألا فما تفقدون من حقكم؟؟، والله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى، ومن لم تكونوا تختلفون عليه. فَضَل فَضْلُ من مال، فمالى لا أصنع فى الفضل ما أريد؟؛ فلم كنتُ إماماً؟!

وقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم حَكَّمْنا والله بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر:

فَرَشْنا لكم أَعْرَاضَنَا فَنَبَتْ بِكُمْ

مُعارِسُكم تَبْنُون فى دِمَنِ الثَّرَى

فقال عثمان: اسكت لاسكتَّ، دعنى وأصحابى ما منطقك فى هذا؟؛ ألم أتقدم إليك ألا تنطق؟؛ فسكت مروان، ونزل عثمان بن عفان رضي الله عنه من على المنبر (٢٤)

لك الله يا أمير المؤمنين

هذه ليست خطبة مطولة ولكنها جزء مما تعرض له أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فى نهاية حياته.

(قال محمد بن عمر: وحدثنى ابن أبى الزناد، عن موسى بن عُقبة، عن أبى حبيبة، قال: خطب عثمان الناس فى بعض أيامه، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنك قد ركبت نهابير وركبناها معك، فتب نتب، فاستقبل عثمان القبلة، وشهر يديه ـ قال أبو حبيبه: فلم أر يوماً أكثر باكياً ولا باكية من يومئذٍ.

ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس، فقام إليه جَهْجاةُ الغفارى فصاح: يا عثمان، ألا إن هذه شارف (٢٥) قد جئنا بها، عليها عباءة وجامعة، فانزل فلندرعك العباءة، ولنطرحك فى الجامعة، ولنحملك على الشارف، ثم نطرحك فى جبل الدخان.

فقال عثمان رضي الله عنه: قَبَّحَك الله، وقَبَّح ما جئت به؛

قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك منه إلا عن ملإ من الناس، وقام إلى

(٢٤) تاريخ الأمم والملوك: ٣٤٥/٥ ـ ٣٤٦

(٢٥) الشارف من النوق: الكبيرة السن، الهرمة

عثمان خيرته وشيعته من بنى أمية، فحملوه، فأدخلوه الدار.

قال أبو حبيبة: فكان آخر ما رأيته فيه) (٢٦)

قميصك الذى قمصك الله

بعد مسأله الكتاب المزيف الزور الذى جاء به أهل النفاق قام عثمان بن عفان رضي الله عنه مدافعاً وخاطباً قائلاً للرد على هؤلاء الناس.

نص

(الحمد لله ثم أثنى عليه: والله ما كتبت ولا أمرت، ولا علمت

فقال عَلِيٌّ وبقية الصحابة: قد صدق

فاستراح اليها عثمان.

فقال المصريون: فمن كتبه؟.

قال: لا أدرى

قالوا: أفيجترأ عليك فيُبعث غلامك، وجمل من صدقات المسلمين، وينقش على خاتمك، ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم؛

قال: نعم

قالوا: فليس مثلك يلى، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه.

قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزَّ وجلَّ)

فكثرت الأصوات واللغط، فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه، فقام عَلِيٌّ فخرج، وقام راوى القصة بعد عَلِيٍّ، وقال المصريين: أخرجوه،

(٢٦) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٣٧٧

فخرجوا، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه (٢٧)

والسبب فى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يرض بالخلع لأنه تولى الإمارة ببشارة من رسول الله ﷺ، ولقد أوصاه رسول الله ﷺ بعدم تركها ولى فى ذلك دليل وهو حديث عائشة - رضى الله عنها - وإليكم نصه.

حديث عائشة - رضى الله عنها - فى إمارة عثمان

عن النعمان بن بشير، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عثمان...؛ إن ولاك الله هذا الأمر يوماً، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذى قمصك الله فلا تخلعه» يقول ذلك ثلاث مرات.

قال النعمان فقلت لعائشة: ما منعك أن تعلمى الناس بهذا؟.

قالت: أُنْسيتَهُ (٢٨)

وبهذا الحديث نختتم الخطب الخاصة بالفتنة، ولقد رأيت أن تكون خطبه عن حصاره، وقبل مقتله فى فصل بمفردها، لأنها تبين مكانة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وتستحق أن تكتب فى كتاب بمفردها لا فى فصل كما سنفعل والله وحده الموفق.

---

(٢٧) الخبر بكامله فى تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٨٧ - ٣٨٨

(٢٨) جامع المسانيد والسنن: ١٣٤/١٧، وقال د/ قلعجى: رواه ابن ماجه فى المقدمة - باب «مناقب عثمان بن عفان» ح (١١٢) ص: ٤١/١، واحمد فى المسند (٦/ ٧٥ - ٨٦ - ١١٤)، وابن سعد فى الطبقات.

الفصل الثالث

خطب المكانة

خطبة: «اثبت حراء»

خطبة: «جيش العُسرة»

خطبة: «أفيكم طلحة؟

خطبة: «من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟؟»

خطبته: «افطر على ماء البحر؛؛»

خطبة: «إنى استودعكم الله»

خطبة: «فيم يقتلونى؟»

حديث: «ألاَ أستحى من رجل تستحى منه الملائكة؟»

حديث: «تبشير عثمان ﷺ بالجنة»

يا عثمان أفطر عندنا

وصية عثمان بن عفان ﷺ

الفصل الثالث

خطب المكانة

عندما حوصر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه قطعوا عنه الماء، وألزموه بيته، فما عاد يغادره، فصدرت منه أقوال هى خطب تبين مكانته فى الإسلام، عسى أن يحقن بتلك الأقوال الدماء، أو أن يدفع عن نفسه البلاء، ولكن أمر الله كان مفعولا، وحتى لا أطيل عليكم فإليكم هذه الأقوال:

اثبت حراء

عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى قال: لما حصر عثمان أشرف عليهم فوق داره ثم قال

نص

(أُذَكِّرُكم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله ﷺ: أثبت حراء فليس عليك إلا نبى، وصديق، وشهيد؟

قالوا: نعم

قال: أُذَكِّرُكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال فى جيش العسرة: مَنْ ينفق نفقة متقبلة والناس مجهدون معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟

قالوا: نعم.

ثم قال: أُذَكِّرُكم بالله هل تعلمون أن بئر رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن، فابتعتها، فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل؟

قالوا: اللَّهم نعم. وأشياء عددها)[1]

(١) جامع المسانيد والسنن: ١٣٦/١٧، والترمذى حديث رقم: ٣٦٩٩، وأحمد فى المسند: ٥/١

جيش العُسرة

قال الأحنق: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة، فبينما نحن فى منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس من فزع فى المسجد، فانطلقت أنا وصاحبى، فإذا الناس مجتمعون على نفر فى المسجد، قال: فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا على بن أبى طالب، والزبير، وطلحة، وسعد بن أبى وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشى.

نص

(فقال: أههنا على؟

قالوا: نعم

قال: أههنا الزبير؟

قالوا: نعم

قال: أههنا طلحه؟

قالوا: نعم

قال: أههنا سعد؟

قالوا: نعم

قال: أُنْشِدُكم بالله الذى لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له، فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنى قد ابتعته، فقال: اجعله فى مسجدنا وأجره لك؟

قالوا: نعم.

قال: أُنْشِدُكم بالله الذى لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال:

من يبتاع بئر رومة؟، فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إنى قد ابتعتها (يعنى رومة)، فقال: اجعلها سقاية للمسلمين، وأجرها لك؟

قالوا: نعم

قال: أُنْشِدُكم بالله الذى لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر فى وجوه القوم يوم جيش العُسرة فقال: من يجهز هؤلاء غفر الله له، فجهزتهم حتى ما يفقدون خِطاماً ولا عقالاً؟

قالوا: نعم

قال: اللَّهم أشهد، اللَّهم اشهد، ثم انصرف) (٢)

أفيكم طلحة؟

قال عبد الله بن أحمد حدثنى عبد الله بن عمر القواريرى حدثنى القاسم بن الحكم بن أوس الأنصارى حدثنى أبو عبادة الزرقى الأنصارى من أهل المدينة عن زيد بن أسلم عن أبيه. قال: شهدت عثمان يوم حُوصِر فى موضع الجنائز، ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التى تلى مقام جبريل عليه السلام فقال:

نص

(أيها الناس... أفيكم طلحة؟

فسكتوا، ثم قال: أيها الناس أفيكم طلحة؟

فسكتوا، ثم قال: يا أيها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله.

فقال له عثمان: ألا أراك ههنا؟ ما كنت أرى أنك تكون فى جماعة تسمع ندائى آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبنى؛! أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم

(٢) جامع المسانيد والسنن للعلامة ابن كثير: ١٧/١٣٨، ورواه الإمام أحمد فى مسنده: ١/٧٠

كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فى موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيرى وغيرك؟

قال: نعم.

فقال لك رسول الله ﷺ: يا طلحة، إنه ليس من نبى إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه فى الجنة، وإن عثمان بن عفان هذا، - يعنينى - رفيقى معى فى الجنة؟؟

قال طلحة: اللَّهم نعم، ثم انصرف) (٣)

من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟

حدثنا أبو قَطَن حدثنا يونس، يعنى ابن أبى إسحاق. عن أبيه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان من القصر، وهو محصور فقال:

نص

(أُنشدُ بالله من شهد رسول الله: ﷺ يوم حِرَاء، إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: اسكن حراء، ليس عليك إلا نبى، وشهيد، أنا معه؟

فأنشد له رجال

قال: أُنشدُ بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان، إذ بعثنى إلى المشركين إلى أهل مكة، قال: هذه يدى، وهذه يد عثمان، فبايع لى.

فأنشد له رجال.

قال: أُنشدُ بالله من شهد رسول الله ﷺ، قال: من يُوَسّعُ لنا بهذا البيت فى المسجد بيتٍ فى الجنة؟ فابتعته من مالى فوسَّعتُ به المسجد؟

(٣) جامع المسانيد والسنن: ١٧/١٦١

فأنشد له رجال.

قال: وأُنشدُ بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العُسرة قال: من ينفق اليوم نفقةً متقبلة؟، فجهزت نصف الجيش من مالى.

قال: فانتشد له رجال.

وأُنشدُ بالله من شهد رُومَةَ يُباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى فأبحتُها لابن السبيل؟؟

فانتشد له رجال) (٤)

أفطر على ماء البحر

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا معتمر بن سليمان التيمى. قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا أبو نضرة، عن أبى سعيد مولى أبى أسيد الأنصارى قال: أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ذات يوم فقال: السلام عليكم.

نص

(قال: فما سمع أحداً من الناس ردَّ عليه إلا أن يرد رجل فى نفسه.

فقال: أُنشدُ الله هل علمتم أنى اشتريت رومة من مالى يستعذب بها، فجعلت رشائى (٥) منها كرشاء رجل من المسلمين؟.

قيل: نعم

قال: فما يمنعنى أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؛

(٤) جامع المسانيد والسنن: ٢٤٢/١٧، ومسند الإمام أحمد ٥٩/١

(٥) رشائى: حبل الدلو

قال: أُنشدُكم الله هل علمتم أنى اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته فى المسجد؟

قيل: نعم.

قال: فهل علمتم أحداً من الناس منع أن يصلى فيه قبلى؟.

قال: أُنشدُكم الله هل سمعتم نبى الله ﷺ يذكر كذا وكذا، أشياء من شأنه، وذكر الله إياه أيضا فى كتابه المفضل قال: ففشا النهى.

قال: فجعل الناس يقولون: مهلا عن أمير المؤمنين) (٦)

قال: وفشا النهى، قال، وقام الأشتر. قال: ولا أدرى يومئذ أفى يوم آخر؟. فقال: لعله قد مكر به وبكم؛

قال: فوطئة الناس، حتى لقى كذا وكذا.

إنى استودعكم الله

من يقرأ معى هذا الخبر سيجد أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان رجلاً عظيماً رجل ما نشد للبغى ولا الفساد ولا العدوان بُغى عليه فقابل البغى بطيب ولين ورحمه، ما أرحجه وأحسنه، وقبح الله كل من عاداه. وحتى لا أطيل عليكم فإليكم الخبر الذى يضعه فى مكانه ما أعلاه وأجلاه.

يقول ابن جرير الطبرى (كتب إلى السرى، عن شعيب عن سيف، عم محمد وطلحة، وأبى حارثة، وأبى عثمان، قالوا: لما قضى عثمان من ذلك المجلس حاجاته وعزم وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله.

(٦) تاريخ الطبرى: ٣٩٧/٥

قال: اخرجوا رحمكم الله، فكونوا بالباب، وليجمعكم هؤلاء الذين حُبسوا عنى. وأرسل إلى طلحة، والزبير، وعلى وعدة. أن ادنوا. فاجتمعوا فأشرف عليهم فقال:

نص

(يا أيها الناس....؛

اجلسوا، فجلسوا جميعاً، المحارب الطارئ، والمسالم المقيم.

فقال: يا أهل المدينة «إنى أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافه من بعدى»

وإنى والله لا أدخل على أحد بعد يومى هذا حتى يقضى الله فى قضاءه، ولأدعن هؤلاء، وما وراء بابى غير معطيهم شيئا يتخذونه عليكم دَخَلاً فى دين الله، أو دنيا حتى يكون الله عزَّ وجلَّ الصانع فى ذلك ما أحب.

وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن، ومحمدا، وابن الزبير، وأشباهاً لهم، فجلسوا بالباب على أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار) (٧)

ما أعظمك يا أمير المؤمنين الناس يأتمرون عليك ليقتلوك وأنت تقول؛ «إنى استودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى».

فبأى مكانة أنت يا خليفة المسلمين، رحمك الله يا أميراً لن يُشهد فى حلمه وخفض جناحه.

فبم يقتلونى؟

قال الإمام أحمد: حدثنا حماد بن زيد حدثنا يحيى بن سعيد عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: كنت مع عثمان فى الدار وهو محصور، قال:

(٧) تاريخ الأمم والملوك: ٥/٤٠٠

وكنا ندخل مدخلاً إذا دخلناه سمعنا كلامًا من على البلاط، قال: فدخل عثمان يوماً لحاجته، فخرج إلينا منتقعا لونه، فقال:

نص

(إنهم ليتواعدوننى بالقتل آنفا، قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلوننى؟؟ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسا بغير نفس».

فوالله ما زنيت فى جاهلية أو إسلام قط، ولا تمنيت بدلاً بدينى منذ هدانى الله له، ولا قتلت نفسا، فَبِمَ يقتلوننى؟)

وقد رواه أهل السند الأربعة من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد حدثنى أبو أسامة. زاد النسائى، وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالا: كنا مع عثمان، فذكر، وقال الترمذى: حسن، وقال حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد: فرفعه. (٨)

هذه الخطبة، وتلك القصة تبين مكانة عثمان بن عفان فى الطهارة والعفة والفضل. فهو لم يَزْنِ، أو يقتل فى جاهليته ولا فى إسلامه نظيف اليدين طاهر السبيل.

والآن اسمحوا لى أن أسوق إليكم فى هذا الكتاب بعض الأحاديث التى تبين فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه، هذه الأحاديث جاءت لبيان مكانة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحتى لا أطيل فإليكم هذه الأحاديث.

(٨) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ١٦٩/٧

ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة؟

عن عطاء، وسليمان ابنى يسار، وأبى سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا فى بيتى، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر، فأذن له. وهو على تلك الحال. فتحدث. ثم استأذن عُمر فأذن له، وهو كذلك. فتحدث ثم استأذن عثمان. فجلس رسول الله ﷺ. وسوى ثيابه ـ قال مُحَمَّدُ: ـ ولا أقول ذلك فى يوم واحد ـ فدخل فتحدَّث. فلما خرج قالت عائشةُ: دخل أبو بكر فلم تهنش له. ولم تُبَالِه. ثم دخل عُمَرُ فلم تهنش له ولم تُبَالِه. ثم دخل عثمانُ، فجلست وسوَّيتَ ثيابك؛ فقال: «ألا أستحى من رجُلٍ تستحى منه الملائِكةُ؟» (٩)

وهناك حديث آخر يبين مدى حياء عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو. عن يحيى ابن سعيد بن العاص، أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبى ﷺ، وعثمان حدثاهُ، أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مُضطَجعُ عَلَى فراشِهِ، لابس مرط عائشة. فأذن لأبى بكر وهو كذلك. فَقضى إليه حاجته ثم انصرف. ثم استأذن عُمَرُ. فأذِن لهُ وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته. ثم انصرف. قال عُثمانُ: ثم استأذنت عليه فجلس. وقال لعائشة: «اجمعى عَلَيكِ ثيابك» فقضيت إليه حاجتى ثم انصرف. فقالت عائشة: يا رسول الله؛ مالى لم أرك فزعت لأبى بكر، وعُمر رضي الله عنه كما فزعت لعثمان؟

قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حَيِىٌّ، وإنى خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال أن لا يبلغ إلى فى حاجته» (١٠)

---

(٩) مسلم بشرح النووى: ٧/٤١٠

(١٠) مسلم بشرح النووى: ٧/٤١٠

تبشير عثمان رضي الله عنه بالجنة

(عن سعيد بن المسيب. أخبرنى أبو موسى الأشعرى، أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقال: لألزمن رسول الله ﷺ، ولأكونن معه يومى هذا. قال فجاء المسجد. فسأل عن النبى ﷺ فقالوا: خرج. وَجَّهَ هَهُنَا. قال فخرجت على أثرهِ أسأل عنه. حتى دخل بئر ريس. قال: فجلست عند الباب وبابها من جريد. حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو قد جلس على بئر أريس. وتوسط قُفَّهَا، وكشف عن ساقيه ودلاهُما فى البئر. قال: فَسَلَّمْتُ عليه. ثم انصرفت فجلستُ عند الباب فقلت: لأكونن بوَّابَ رسول الله ﷺ اليوم. فجاء أبو بكر، فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر: فقلت: على رسلكَ. قال: ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله؛ هذا أبو بكر يستأذنُ، فقال: «ائذن له، وبشرهُ بالجنة» قال: فأقبلت حتى قلت لأبى بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة. قال: فدخل أبو بكر. فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معهُ فى القُفِّ [11]، ودلّى رجليه فى البئر كما صنع النبى ﷺ، وكشف عن ساقيه، ثم رجعت، فجلست، وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى، فقلت: إن يرد الله بفلان - يريد أخاهُ - خيراً يأت به فإذا إنسان يحرك الباب. فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطَّاب. فقلت: على رسْلِكَ. ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فَسَلَّمْتُ عليه، وقُلْتُ: هذا عمر يستأذن. فقال: «ائذَن له وبشره بالجنة. فجئت عمر فقلت: أذِنَ وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة. قال: فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القُفِّ، عن يساره ودَلَّى رجليه فى البئر. ثم رَجَعتُ، فجلستُ، فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً - يعنى أخاه - يأت به. فجاء إنسان فحرك الباب. فقلت: من هذا؟ فقَال: عثمان بن عفان فقلت: على رِسلِكَ. قال: وجئتُ النبى ﷺ فأخبرته، فقال: «ائذَن له وبَشِّرهُ بالجنَّة

(١١) القُف: حافة البئر

مع بلوى»، قال: فجئت، فقلتُ: ادخُل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجَنَّة مع بلوى تصيبك. قال: فدخل، فوجد القُفَّ قد مُلِئَ، فجلس وجاهَهُم من الشِّقِّ الآخر) (١٢)

وهذا الحديث أكبر دلالة على مكانة عثمان رضي الله عنه فهو من أهل الجنة كما أخبر رسول الله ﷺ، وفى هذا الحديث أيضاً دلالة على اندلاع الفتنة.

وأختم هذه الأحاديث بحديث لعثمان بن عفان أضعه تحت عنوان

يا عثمان افطر عندنا

عن نافع عن ابن عمر: إن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدث الناس.

قال:

نص

(رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: يا عثمان افطرَ عندنا فأصبح صائما؛ وقتل فى يومه) (١٣)

وقال ابن أبى الدنيا:

حدثنا أبو عبد الرحمن القرش، ثنا خلف بن تميم. ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلى، ثنا عبد الملك بن عمير، حدثنى كثير بن الصلت قال: دخلت على عثمان وهو محصور، فقال لى: يا كثير ما أرانى إلا مقتولا يومى هذا. قال: قلت: ينصرك الله على عدوك يا أمير المؤمنين، قال: ثم أعاد على، فقلت: وُقِّت لك فى هذا اليوم شىء؟، أو قيل لك شىء؟

(١٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى: ٢١/٧، وأيضا فى الفتح فى الفتن ٤٨/١٣، وصحيح مسلم بشرح النووى: ٤١٢/٧ ـ ٤١٣، وهو بالمعنى لابالنص عند النسائى: ٤٢٧/٦، والترمذى: ٦٣١/٥

(١٣) البداية والنهاية: ١٧١/٧

قال: لا؛ ولكنى سهرت فى ليلتى هذه الماضية، فلما كان وقت السحر أغفيت إغفاءة، فرأيت فيما يرى النائم رسول الله ﷺ، وأبا بكر، وعمر، ورسول الله ﷺ يقول لى: يا عثمان «ألحقنا لا تحبسنا، فإنا ننتظرك»

فقتل فى يومه ذلك.

عن فرج بن فضالة عن مروان بن أبى أمية عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان لأسلم عليه، وهو محصور، فدخلت عليه، فقال: مرحباً بأخى، رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى هذه الخوخة - قال: وخوخة فى البيت - فقال: «يا عثمان حصروك؟»

قلت: نعم

قال: «عطشوك؟»

قلت: نعم؛ فأدلى دلواً فيه ماء، فشربت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين ثديى وبين كتفى، وقال لى: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده» فقتل ذلك اليوم. (١٤)

فرحمة الله عليك يا أمير المؤمنين يا خير مثال للعفة والطهارة والقلب الناصع البياض واسمحوا لى أحباب رسول الله ﷺ أن أختم هذا الكتاب بوصية عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه.

وصية عثمان بن عفان رضي الله عنه

لما قُتِلَ عثمان رضي الله عنه فتشوا خزانته، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً، ففتحوه فوجدوا فيها ورقة مكتوب فيها: هذه وصية عثمان.

---

(١٤) البداية والنهاية - للعلامة ابن كثير: ٧/١٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حَقّ، وأن النار حَقّ، وأن الله يبعث من فى القبور، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيا، وعليها يموت، وعليها يُبعَث إن شاء الله تعالى. (١٥)

(١٥) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير: ١٧٣/٧

أهم المراجع

١ ـ البداية والنهاية ـ للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير

٢ ـ تاريخ الخلفاء ـ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى

٣ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ للإمام الحافظ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

٤ ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ـ للعلامة المحدث أبى العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفورى

٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى.

٦ ـ سنن أبى داود

٧ ـ سنن ابن ماجة ـ للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى

٨ ـ الطبقات الكبرى ـ لابن سعد

٩ ـ عون المعبود بشرح سنن أبى داود ـ للعلامة أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى

١٠ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ للإمام ابن حجر العسقلانى

١١ ـ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ـ لعلاء الدين بن على بن حسام الدين الهندى

١٢ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للحافظ نور الدين بن على بن أبى بكر الهيثمى.

١٣ ـ مسند الإمام أحمد ـ للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

الشيبانى.

١٤ - المعجم الكبير - للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى

١٥ - الموطأ - للإمام مالك بن أنس بتحقيق العلامة محمد فؤاد عبدالباقى

١٦ - لسان العرب - للعلامة ابن منظور

١٧ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - للإمام أحمد بن على القلقشندى

١٨ - العواصم من القواصم - للإمام القاضى أبى بكر بن العربى المالكى

١٩ - الكامل فى التاريخ - لابن الأثير

٢٠ - المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم - للإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى

٢١ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء - للشيخ محمد الخضرى

٢٢ - جامع المسانيد والسنن - للعلامة ابن كثير

٢٣ - إحياء علوم الدين - للإمام أبو حامد الغزالى

٢٤ - حياة الصحابة - لمحمد يوسف الكاندهلوى

٢٥ - معرفة السنن والآثار - للبيهقى.

الفهـــرس

الفصل الثانى